

تَقْصِيَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

٢٥

سورة الجن ٧-٣-٢-١٤٠

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة الجن

عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ
أَحَدًا (٢٦)

إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ
يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ
رَصَدًا (٢٧)

لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَتْلَعُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ
وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَ أَخْصَى كُلَّ
شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا

المرسل
إليه

الرسول

المرسل

فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا

المرسل
إليه

بَيْنَ
يَدَيْهِ

الرسول

مِنْ
خَلْفِهِ

المرسل

لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ

- و قوله: «لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» ضمير «لَيَعْلَمَ» لله سبحانه، و ضميرا «قَدْ أَبْلَغُوا» و «رَبِّهِمْ» لقوله: «مَنْ» باعتبار المعنى أو لرسول باعتبار الجنس،
- و المراد بعلمه تعالى بإبلاغهم رسالات ربهم العلم الفعلى و هو تحقق الإبلاغ في الخارج على حد قوله: «فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»: العنكبوت: ٣ و هو كثير الورد في كلامه تعالى.
- و الجملة تعليل لسلوك الرصد بين يدي الرسول و من خلفه، و المعنى ليتحقق إبلاغ رسالات ربهم أى لتبلغ الناس رسالاته تعالى على ما هى عليه من غير تغير و تبدل.

لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ

- و من المحتمل أن يرجع ضميرا «بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ» إلى «غَيْبِهِ» فيكون الرصد الحرس مسلوكين بين يَدَيِ الْغَيْبِ النَّازِلِ وَ مَنْ خَلْفَهُ إلى أن يبلغ الرسول، و يضعفه أنه لا يلائم قوله: «لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» بالمعنى الذى تقدم لعدم استلزام بلوغ الغيب للرسول سَلِيمًا مَنْ تَعَرَّضَ الشَّيَاطِينُ حُصُولَ الْعِلْمِ بِإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ.
- و إلى هذا المعنى يرجع قول بعضهم إن الضميرين يرجعان إلى جبريل حامل الوحي.
- و يضعفه مضافا إلى ما مر عدم سبق ذكره.

لَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَهُمْ

- و قيل: ضمير ليعلم للرسول و ضميرا «قَدْ أَبْلَغُوا» و «رَبَّهُمْ» للملائكة الرصد و المعنى يرصد الملائكة الوحي و يحرسونه ليعلم الرسول أن الملائكة قد أبلغوا إليه الوحي كما صدر فتطمئن نفسه أنه سليم من تعرض الشياطين فإن لازم العلم بإبلاغهم إياه العلم ببلوغه.
- و يبعده أن ظاهر السياق - و يؤيده سبق ذكر الرسول - أن المراد بالرسالات الرسالات التي حملها الرسول ليلبغها إلى الناس لا ما حملها ملك الوحي فضمير «رَبَّهُمْ» للرسول دون الملائكة، على أن الآية تشير إلى الملائكة بعنوان الرصد و هو غير عنوان الرسالة و شأن الرصد الحفظ و الحراسة دون الرسالة.
- و قيل: المعنى ليعلم محمد ص أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم، و هو وجه سخيף لا دليل عليه، و أسخف منه ما قيل: إن المعنى ليعلم مكذب الرسل أن الرسل قد أبلغوا رسالات ربهم إليهم.

وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ

- و قوله: «وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ» ضمير الجمع للرسول بناء على ما تقدم من المعنى و الظاهر أن الجملة متممة لمعنى الحراسة المذكورة سابقا فقوله: «مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ» يشير إلى رصد ما بين الرسول و المرسل إليهم، و قوله: «وَ مَنْ خَلْفَهُ» إلى حفظ ما بينه و مصدر الوحي، و قوله: «وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ» يشير إلى ظرف نفس الرسول و الإحاطة إحاطة علمية فالوحي في أمن من تطرق التغيير و التبديل فيما بين مصدر الوحي و الرسول و في نفس الرسول و في ما بين الرسول و المرسل إليهم.

وَ أَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا

- و يمكن أن يكون المراد بما لديهم جميع ما له تعلق ما بالرسول أعم من مسير الوحي أو أنفسهم كما أن قوله: «وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» مسوق لإفادة عموم العلم بالأشياء غير أنه العلم بعددها و تميز بعضها من بعض.

تبين مما مر فى الآيات الثلاث

- فقد تبين مما مر فى الآيات الثلاث:
- أولاً: أن اختصاصه تعالى بعلم الغيب على نحو الأصالة بالمعنى الذى أوضحناه فهو تعالى يعلم الغيب بذاته و غيره يعلمه بتعليم منه.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و به يظهر أن ما حكى في كلامه تعالى من إنكارهم العلم بالغيب أريد به نفي الأصالة و الاستقلال دون ما كان بوحي كقوله تعالى: «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ»: الأنعام: ٥٠، و قوله: «وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ» الأعراف: ١٨٨ و قوله: «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ»: الأحقاف: ٩.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- **و ثانيا:** أن عموم قوله: «فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» لما خصص بقوله: «إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» عادَ عاما مَخَصَّصا لا يَأْبَى تخصيصا بِمَخَصَّصٍ آخَرَ كَمَا فِي مَوْرَدِ الْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُوحِي إِلَيْهِمْ كَقَوْلِهِ: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ»: النساء: ١٦٣ و تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوَحْيَ مِنَ الْغَيْبِ فَالْنَبِيُّ يَنَالُ الْغَيْبَ كَمَا يَنَالُهُ الرَّسُولُ

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- هذا على تقدير أن يكون المراد بالرسول في الآية ما يقابل النبي و أما لو أريد مطلق من أرسله الله إلى الناس و النبي ممن أرسله الله إليهم كما يشهد به قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ» الآية: الحج: ٥٢، و قوله: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ» الأعراف: ٩٤ فالنبي خارج من عموم النفي من غير تخصيص جديد.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- وكذا في مورد الإمام بالمعنى الذى يستعمله فيه القرآن فإنه تعالى يصفه **بالصبر واليقين** كما في قوله: «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ»: ألم السجدة ٢٤ و يعرفهم **بانكشاف الغطاء لهم** كما في قوله: «وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»: الأنعام: ٧٥، و قوله: «كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ»: التكاثر: ٦ و قد تقدم كلام في ذلك في بعض المباحث السابقة.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و أما الملائكة فما يحملونه من الوحي السماوي قبل نزوله و كذا ما يشاهدونه من عالم الملكوت شهادة بالنسبة إليهم و إن كان غيبا بالنسبة إلينا.
- على أن قوله: «فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» إنما يشمل أهل الدنيا ممن يعيش على بساط الأرض و إلا لَأَنْتَقِضَ بالأموات المشاهدين لأُمُور الآخرة و هي من الغيب بنص القرآن فلم يبق تحت عموم النفي حتى فرد واحد إذ ما من أحد إلا و هو مبعوث ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود، و كما أن الأموات نشأتهم غير نشأة الدنيا كذلك نشأة الملائكة غير نشأة المادة.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- **و ثالثاً:** أن قوله: «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ» إلى آخر الآيتين يدل على أن الوحي الإلهي محفوظٌ مَنْ لَدُنْ صَدُورِهِ مِنْ مَصْدَرِ الْوَحْيِ إِلَى بُلُوغِهِ النَّاسَ مَصُونٌ فِي طَرِيقِ نَزُولِهِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى مَنْ قَصْدَ نَزُولِهِ عَلَيْهِ.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- أما مصونيته من حين صدوره من مصدره إلى أن ينتهي إلى الرسول فيكفي في الدلالة عليه قوله «مَنْ خَلْفَهُ» «١»
- (١) هذا بناء على رجوع الضمير إلى الرسول و أما بناء على احتمال رجوع الضمير إلى الغيب فالدال عليه مجموع «من بين يديه و من خلفه» لكنه ضعيف كما تقدم.

تبين مما مر فى الآيات الثلاث

- و أما مصونيته حين أخذ الرسول إياه و تلقيه من ملك الوحي بحيث يعرفه و لا يغلط فى أخذه، و مصونيته فى حفظه بحيث يعيه كما أوحى إليه من غير أن ينساه أو يغيره أو يبدله، و مصونيته فى تبليغه إلى الناس من تصرف الشيطان فيه فالدليل عليه قوله: «لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» حيث يدل على أن الغرض الإلهي من سلوك الرصد أن يعلم إبلاغهم رسالات ربهم أى أن يتحقق فى الخارج إبلاغ الوحي إلى الناس، و لازمه بلوغه إياهم و لو لا مصونية الرسول فى الجهات الثلاث المذكورة جميعا لم يتم الغرض الإلهي و هو ظاهر،

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و حيث لم يذكر تعالى للحصول على هذا الغرض طريقا غير سلوك الرصد دل ذلك على أن الوحي محروس بالملائكة و هو عند الرسول كما أنه محروس بهم في طريقه إلى الرسول حتى ينتهي إليه، و يؤكد قوله بعد: «و أحاطَ بما لديهم».

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و أما مصونيته في مسيره من الرسول حتى ينتهي إلى الناس فيكفي فيه قوله: «من بين يديه» على ما تقدم من معناه.
- أضف إلى ذلك دلالة قوله: «لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ» بما تقدم من تقريب دلالة.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و يتفرع على هذا البيان أن الرسول مؤيد بالعصمة في أخذ الوحي من ربه و في حفظه و في تبليغه إلى الناس مصون من الخطأ في الجهات الثلاث جميعا لما مر من دلالة الآية على أن ما نزل الله من دينه على الناس من طريق الرسالة بالوحي مصون في جميع مراحلها إلى أن ينتهي إلى الناس و من مراحلها أخذ الرسول للوحي و حفظه له و تبليغه إلى الناس.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و التبليغ يعم القول و الفعل فإن في الفعل تبليغا كما في القول فالرسول معصوم من المعصية باقتراف المحرمات و ترك الواجبات الدينية لأن في ذلك تبليغا لما يناقض الدين فهو معصوم من فعل المعصية كما أنه معصوم من الخطأ في أخذ الوحي و حفظه و تبليغه قولاً.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- و قد تقدمت الإشارة إلى أن النبوة كالرسالة في دورانها مدار الوحي فالنبي كالرسول في خاصة العصمة، و يتحصل بذلك أن أصحاب الوحي سواء كانوا رسلا أو أنبياء معصومون في أخذ الوحي و في حفظ ما أوحى إليهم و في تبليغه إلى الناس قولاً و فعلاً.

تبين مما مر في الآيات الثلاث

- **و رابعا:** أن الذي استثنى في الآية من الإظهار على الغيب إظهار الرسول على ما يتوقف عليه تحقق إبلاغ رسالته أعم من أن يكون متن الرسالة كالمعارف الاعتقادية و شرائع الدين و القصص و العبر و الحكم و المواعظ أو يكون من آيات الرسالة و المعجزات الدالة على صدق الرسول في دعواه كالذي حكى عن بعض الرسل من الإخبار بالمغيبات كقول صالح لقومه: «تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب» هود: ٦٥، و قول عيسى لبنى إسرائيل: «و أنبئكم بما تاكلون و ما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم» آل عمران: ٤٩، و كذا ما ورد من مواعد الرسل، و ما ورد في الكتاب العزيز من الملاحم كل ذلك من إظهارهم على الغيب.